مطبوعات حديثة

تاريخ مملكة الحبشة

« من عهد ملكة سبا الى دخول هذه المملكة في عصبة الامم »

تأليف السيد بيار آليب المندوب الممتاز لدى دولة سورية مصدّر بمقدمة من قلم الشيخ (Sénateur) السيد هانري دي جوفنيل عضو جمعية عصبة الامم والعميد السامي للجمهورية الافرنسية في سورية ولبنان ، طبع طبعة خامسة في مطبعة بلون نوريت بباريس عام ١٩٢٦

L' Empire des Nègus - par M. Pierre Alype, Paris 1925

أهدى المؤلف كتابه تاريخ مملكة الحبشة الى مجمعنا العربي مصدراً من خط أنامله بكلمات رقيقة أحسن فيها الظن اي احسان بالعرب ومدنيتهم ومدينة حضارتهم التاريخية دمشق . ومؤلفه سفر جليل حسن التبويب والتقسيم يقع في ٣٠٧ صفحات وهو مزين بسبعة رسوم جميلة تمثل نجاشي الحبشة السابق منيلك الثاني وابنته النجاشية زَوديتو العاهلة الحالية والاميرة تَفَري مكونن القيم على شؤون السلطنة واباه الراس مكونن امير هرر المتوفى والسيد ليونس لاغارد اول المندوبين الممتازين الافرنسيين وأهمهم لدى بلاط النجاشي وبعض الآثار التاريخية في تلك الاقطار ، وفي آخره مخطط (خارطة) المملكة . والحبشة قطر جبلي موقعه في شرق افريقية ما بين البحر الاحمر وأعالي النيل الابيض ويجري النيل الازرق في وسطها . تسكنه امة قديمة فطرية شبيهة لون البشر (اي كلون البرونز) محسوبة من الجنس البشري الابيض او فرعاً منه معروفاً بالفرع الحبشي . لها حضارة عريقة وعددها يناهز العشرة ملايين من النفوس يدين معظمها بدين الناصري وما بقي منهم مسلمون وموسويون مع طائفة كبيرة تدين بدين الفطرة وفي عوائد اهلها شيء من الوثنية . وهي المملكة الوحيدة الشرقية التي حافظت على استقلالها الى اليوم منذ عهد سيدنا سليمان الذي تمتّ الى نسبه الأسرة المالكة فيها ، او تدعي هذا المتّ . وقد كان لها في زمن النبي (ص) والخلفاء الراشدين اختلاط كبير بالعرب أتيت على ذكره مفصلاً في احدى محاضراتي في ردهة المجمع العلمي العربي . ولها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لغة فصيحة هي احدى اللغات السامية بها الشيء الكثير من قواعد اللغة العربية وألفاظها واشتقاقاتها . وقد رحل المؤلف الى تلك الاصقاع إبان الحرب العالمية بمهمة سياسية ممتازة فدرسها واستبطن أسرار مدنيتها وتفهم أخلاق أمتها وخدمها وخدم أمته فيها خدمات جلّى شكرته عليها الامتان معاً . وقد مال اليها فأحبها وعمل على دعم استقلالها ونجاتها من براثن ذوات الطمع من الدول التي حدثتها نفسها بابتلاعها لقمة سائغة .

(وصف الكتاب) كل صفحة من الكتاب تنفث في القارىء حب وطنه وتاريخه . جمع فيه فأوعى الوقائع التاريخية القديمة والحوادث الاهلية والسياسية الحديثة كتبها بوضوح جلي ولغة بليغة سهلة المأخذ لا يشوبها غريب ولا معقّد . وقد اعتمد في سرد الحوادث الغابرة على انقى الاسناد التاريخية فنقلها بعد ان هضمها وصقلها بقلمه البليغ حتى لم تظهر عليه مسحة النقل لولا علامات وضعها وأشار في الهوامش الى اسماء المصادر . واعتمد في جمع شوارد الوقائع التي جرت إبان وجوده في تلك الاقطار على اختباراته الخاصة ولم يقم للنظريات وزناً مالم يدعمها بحجج الاختبار . وبهذا تفوّق على من سبقوه من الاوربيين الذين كتبوا عن الحبشة وتاريخها وأخلاقها وبين هؤلاء من زار قطراً منها وبينهم من طاف ارجاءها وجاب مواميها ومفازاتها فلم يوفقوا الى الاطلاع على ما كتب لسعادة هذا المؤلف للاطلاع عليه وقلّ جداً منهم من استوفى الموضوع من جميع اطرافه .

(اعرابه) قسم السيد بيار آليب كتابه الى ثمانية فصول أخصها باربع مراحل: ابان في المرحلة الاولى مركز ساحل الصومال الافرنسي ومكانته الحربية والاقتصادية وقاعدته جيبوتي باب الحبشة الوحيد اليوم واتصالها بعاصمة الحبشة أديس ابابا بالخط الحديدي وأفاض في وصف الامكنة التي مرّ بها حتى دخل تلك العاصمة . وشرح في المرحلة الثانية أصل الاحباش من كوش ابن ابن نوح عليه السلام وكيف أموا هذا الصقع من افريقية عن طريق مصر واستوطنوها وسرد تاريخهم القديم من منيلك الاول ابن سليمان الحكيم (على زعمهم) ابن داود النبي ملك يهوذا صاحب الزبور من احدى نسائه ميقادية ملكة سبا في التيمن (وهي اليوم بلاد اليمن) عام ٩٥٥ قبل الميلاد حتى عهد منيلك الثاني الذي جلس على عرش اجداده من الأسرة السليمانية فصار ملك شوى اولاً عام ١٨٨٠ في عهد النجاشي ثيودورس ثم نجاشي الحبشة (او ملك ملوكها كما يسمي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاحباش عاهلهم) في ٦ تشرين الثاني عام ١٨٨٩ وهي مرحلة طويلة جمع فيها حوادث الحروب الداخلية ومع الاجانب وخصوصاً التي وقعت منها في ايام النجاشيين ثيودورس ويوحنّس وجاء بالتفصيل على ذكر حرب ايطالية مع الحبشة التي كان سببها غلط ترجمة في معاهدة اوكشيالي وانكسار الطليان في موقعة عدوى (شباط ١٨٩٦) وأوضح بجلاء أغلاط الطليان السياسية والفنية العسكرية التي ادت بهم الى هذا التراجع ، وسعة صدر الملك الحبشي المنتصر وعدل مطالبه المنصوص عليها في معاهدة الصلح مع خصمه . وتكلم عن المعاهدات الدولية بين النجاشيين وملوك اوربا والمحالفات التي أبرمت بين ايطالية وانكلترة وكان القصد من ابرامها تقطيع أوصال الحبشة وابتلاعها لقماً ، اللقمة تلو اللقمة ، وكيف قامت سياسة الفرنسيس بوجه هذا الطموح وثبتت أركان استقلال هذه المملكة الافريقية . وجاء على ذكر جلائل أعمال منيلك الثاني في ضم شعث المملكة وتوحيد أرجائها تحت امرة صولجانه الامبراطوري بعد ان كانت متقطعة الاوصال متفاوتة أغراض رؤساء الاقطاعات المستقلين . وأبان السر في نهوض هذه السلطنة الاقطاعية وذكر العوامل المؤثرة التي أدت الى هذا النهوض وخصوصاً مساعدة فرنسا لهذا النجاشي الكبير وابرامها معه المعاهدات النافعة وانشائها له السكة الحديدية التي فتحت للحبشة أبواب التجارة والصناعة والزراعة وأغدقت عليها وابل الخير وأدخلتها في سلك الممالك المتمدنة وضمنت لها مستقبل استقلالها ومنعة دفاعها . وفي المرحلة الرابعة وهي المرحلة التاريخية الحديثة التي شهد المؤلف وقائعها بعينه وقد جاءت كتتمة نسبتها في الحسن الى بقية الكتاب كنسبة ذنب الطاووس الى سائره . جاء فيها على ذكر تدهور الامير يسوع حفيد منيلك الثاني الذي تربع على تخت مملكة جده ، وخصوصاً عما اقترفه هذا العاهل الفتى من الآثام السياسية ابان الحرب العالمية من جراء تعرجه بين سياسة الحلفاء وسياسة الالمان بميلٍ الى هذه اكثر من تلك حتى قامت عليه قيامة عظماء مملكته وانتشرت الثورة في معظم أنحائها وأوشكت بلاده ان تخسر استقلالها وتتناولها أيدي الدمار لولا حكمة المؤلف اذذاك في تلك الاصقاع وسياسة سفير دولته ودربة الانبا متاووس جثليق الحبشة ممن تمكنوا من حمل أمراء المقاطعات الحبشية على مقاطعته اولاً ثم محاربته وخلعه بفتوى أصدرها سيادة الانباماووس واعتقاله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمناداة بجلالة النجاشية زَوْدِيتو الامبراطورة الحالية ابنة النجاشي منيلك الثاني وإقامة سمو الامير تفري ابن الامير مكونن من الاسرة السليمانية المالكة قيما على المُلك ووريثاً لاريكته فأعاد الى المملكة رشدها وسلامها ووطد دعائم استقلالها المتداعية بمساعدة عمال الدولة الافرنسية . ثم رحل بعد ان وضعت الحرب أوزارها الى باريس ولندن ورومية واجتمع برؤساء حكوماتها وكبار وزرائها وساستها وعقد معهم المحالفات المفيدة . ثم عضدته أخيراً الدولة الافرنسية عضداً متيناً وعملت بواسطة السيد هانري دي جوفنيل عضو جمعية عصبة الامم على ادخال الحبشة في هذه العصبة فنالت هذه المملكة التاريخية منذ ذلك الحين كثيراً من المنافع المادية والادبية .

(محاسن الكتاب) لم تمنعني محاسن الكتاب ان أقف أحياناً وقفة الريب في صحة بعض ماذكره المؤلف . من ذلك : (اولاً) اقتناعه ومحاولة اقناعه في كثير من الامكنة وخصوصاً صفحة ٢٦ ان الاسرة المالكة الحالية التي تدعو نفسها الاسرة السليمانية تمتُّ حقيقة الى جدها الاكبر منيلك الاول وان هذا هو حقيقةً ابن الحكيم سليمان ابن النبي داود ملك يهوذا صاحب الزبور من امرأته ميقادية ملكة سبا . ولكن اذا سلمنا انها تمتّ الى منيلك الاول فهل نسلم ان هذا كان بالحقيقة ابن الحكيم ! قصة سفر ملكة سبا من التيمن الى اورشليم لمشاهدة حكمة سليمان حقيقة مشهود لها في الكتب المنزلة . ولكن اي تلك الكتب أم اي مؤرخ قديم قال ان سليمان تزوج بضيفته ملكة سبا او اتخذها حظية فولدت له في اورشليم غلاماً دعاه منيلك ورباه كما يقول الاحباش في تقاليدهم حتى شب وأرسله بحاشية كبيرة الى الحبشة وملّكه عليها ! لعمري انها لدعوى عريضة في شرف النسب لايقرها التاريخ وما أمثالها الا خرافة ينزلها الاحباش منزلة الصحة مبنية على هرب بعض اليهود الى الحبشة عن طريق مصر والسودان في ايام نكباتهم التي يذكرها التاريخ في عهد الاسر البابلي وخراب اورشليم وهيكلها .

(ثانياً) قوله في (صفحة ٢٢) ان الجئز (بالجيم على اللفظ المصري وهي اللغة الحبشية القديمة) والاحرية من اصل فارسي . والصواب أنهما من أصل حميري كما يستدل من شكل حروفها ومن قرب الفاظها الى اللغة العربية ووجه الشبه الكائن بين هذه وبينها من حيث الاشتقاقات الصرفية والادغام والاعلال ووزن بعض الجموع وتصريف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأفعال الخ . وقد تأكدت صحة هذا المعتقد عقب اكتشاف الالواح الحميرية المشهورة في اليمن

(ثالثاً) قوله (صفحة ٢٣) ان الحروف الحبشية مأخوذة عن المسمارية وان المظنون ان أول حروف عرفت في العالم هي حروف الهجاء الحبشية . أعيذه من مثل هذا التناقض الا اذا وافقني بارجاع أصل الحروف الحبشية والفارسية معاً الى الحميرية وظن معي ان الحميرية نفسها قد تكون من أصل مسماري . أما انها أول حروف هجاء عرفت في العالم فهذا لا أوافقه عليه لاشتهار الحروف الصينية بهذه الاولية .

(رابعاً) قوله (صفحة ٢٨) ان فرومنس وايديسيوس اللذين تاها في سفرهما فدخلا الحبشة عام ٣٤١ وعملا على تنصيرها كانا يونانيين وابني تاجر تونسي اسمه ميروبيوس . والصواب انهما كانا فينيقيين وابوهما هوميروبيوس الفيلسوف الصوري المشهور .

(خامساً) قوله عن كتاب فَتْحَ نَگْسْت انه قانون حبشي . والصحيح كما أخبرني الانبا متاووس جاثليق الحبشة (وهو مصري من الصعيد الاعلى) ان هذا الكتاب عربي اسمه «فتح الملوك» كانت الكنيسة القبطية تعتمد على نصوصه قديماً جل الاعتماد . وقد تُرجم الى الحبشية من عهد ليس بالبعيد وان كلمة «فَتْحَ» المضافة انما هي كلمة فتح العربية على وضعها الاصلي وتُرجم المضاف اليه الملوك بكلمة نگْسْت الحبشية وهي تفيد نفس المعنى .

(سادساً) قوله (صفحة ١٠٣) مستنداً على تأليف كولا (Collat) ان الامبراطورة طَهايْتو كانت هي المتصرفة بأموال زوجها منيلك الثاني . والصحيح ان وزير المالية هبتا جورجيس من قبل ان يُدعى وزيراً بزمن كثير وأسلافه من قبله هم الذين كانوا أمناء خزائن سيدهم النجاشي ولم تكن لهم البتة علاقة بالامبراطورة المذكورة بما يخص أمانة الخزائن . اما هي فانما كانت متصرفة باموالها الخاصة وكان لها اقطاعة كبقية العظماء . وقوله ايضاً من باب المديح (في الصفحة نفسها) انها (اي الامبراطورة طَهايْتو كانت شديدة الاهتمام بتقريب أولاد البيوت الملوكية القديمة من أسرتها ولكن فاته إن ذلك الاهتمام انما كان خبثاً منها لانها كانت ترى ايام زوجها معدودة لشدة وطأة المرض عليه فعملت على كسب قلوب أحفاد تلك الأسر القديمة واستمالتهم اليها ليشدوا أزرها يوم تتاح لها الفرص باخذ التاج بالارث عن زوجها . ومن هذا القبيل تزويجها الامير يسوع حفيد زوجها المولود من إبنة امرأته الاولى باحدى تلك البنات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قبل ان يبلغ الثانية عشرة من عمره وكان عمر عروسه سبع سنين وهي جناية كما لا يخفى .

(سابعاً) مقالاته (صفحة ١٠٤ وما يليها) بوصف الامير مكونن والد الامير تفري قيم المملكة الحالي ، والقول عنه في غيرها من الصفحات انه كان مطلق الحرية في إمارة البلاد المحررة تحت طاعة نسيبه النجاشي . نعم ان هذا الامير الحبشي المتوفى كان منقطع النظير بين انداده الامراء الاحباش وقد عرفته بنفسي وكنت صديقاً له مقرباً اليه واطلعت على كثير من الاسرار بسبب ثقة الامير بي . وقد تجلى لي الشيء الكثير من الفضائل وجلائل الاعمال التي ذكرها المؤلف . الا انه كان ضعيف العزيمة قليل الثقة حتى باخلص المتقربين اليه من الحبشة والفرنج ولم يخل — شأن عموم متسلطي الاحباش — من سوء النية . والمشهور عنه انه هو الذي دس الدسائس على جميع اقرباء نسيبه النجاشي منيلك العصبيين أولاد وأحفاد جده الملك سهلا سلاسيه وأشار عليه باعتقالهم وقتلهم الواحد بعد الآخر حتى اتى على آخرهم ، وبث الروح بين الامراء ان لا تتولى امرأة على الملك . كل ذلك ليخلو له الجو ويعود التاج اليه او لولده اذ لم يعقب النجاشي المذكور ذكوراً . وقد ساعد تقلب الحدثان من بعد وفاته على تحقيق أمنيته بان أقيم ابنه الامير تفري قيماً على المملكة وورثا لعهدها . وكانت الامبراطورة طهايتو عقيلة النجاشي منيلك شديدة البغض له ولذريته وقد خلقت له مشاكل جمة في أواخر ايام حياته حتى حملت بعلها على إقامة معتمده في إمارة هرر خلافاً للعوائد الحبشية المرعية فقل بذلك نفوذ الامير في عقر داره وتوفي وفي قلبه تلك الحسرة .

(ثامناً) قوله (صفحة ١٠٨) ان الامير مكونن هذا كان يلقب بالسمو الامبراطوري والملكي وانه تعين ليخلف منيلك . والصواب ان هذا اللقب لم يكن يلقبه به الا الافرنج فقط وذلك لصلة قرباه بالعاهل . اما الاحباش فليس في لغتهم هذا اللقب ولا سواه من الالقاب الرسمية المعروفة وانما يلقبون عظماءهم بقولهم « الكبير ، المعظم ، السامي » الى غير ذلك من نعوت التفخيم والتبجيل وعباراته الطويلة . وكان النجاشي اذا كتب اليه رقيماً ذكر اسمه فيه خلواً من نعت ولقب ما خلا كلمة «راس» فيقول بعد الديباجة الملكية التي تستوعب اكثر من نصف الأولوكة : « الى الراس مكونن ، ليكن اليك سلامي » . ولم يعينه قط خلفاً له لا رسمياً ولا بصفة غير رسمية بل ان دسائس الامير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هي التي جعلت الألسن تلهج تخميناً بان لاخلف للسدة النجاشية الا هذا الامير الباقي في قيد الحياة من الأسرة السليمانية . وقد نزل الاوربيون هذا الحدس منزلة الحقيقة ولكنه تبدّد عندما سمى النجاشي حفيده (من ابنته البكر المتوفاة) الامير يسوع وريثاً لعهده عام ١٩٠٩ وأعلن ذلك رسمياً في داخل مملكته ولدى الممالك الاوربية . ولولا تدهور هذا العامل الفتي في سياسته ولولا خلعه لما حلم الامير تَفَري بن مكْوُنّن بالملك .

(تاسعاً) قوله (صفحة ١٣٨) انه (اي الامير تفري) بعد وفاة ابيه منحه النجاشي رتبة دَدْجازْماتْش (وترجمتها حرفياً قائد الباب وهي تعادل عندهم رتبة الجنرال) وأقطعه بلاد سيدامو فحكمها وكان عمره ١٥ سنة . والصواب ان هذه الرتبة انما منحه اياها ابوه الراس مكْوُنّن قبل وفاته في هرر وكان عمره اذذاك عشر سنين وأقطعه إقطاعة في إمارة هرر . ثم بعد وفاة ابيه دعاه النجاشي الى أدّيْس أبابا وأبقاه عنده نحو سنة ثم أقطعه بلاد سيدامو لانه ولّى حاكماً غريباً على إمارة ابيه وأقام له قيماً وصياً في حكم تلك المقاطعة لصغر سنه .

(عاشراً) اعتمد على الكتب والتقارير الافرنسية في نقل الالفاظ الحبشية فجاءت معلولة . وانا أجتزئ من هذه الأغلاط ببعضها .

الكلمات المعلولة التهجئة	صوابها
Ménélik	Menilek
Makonnen	Mekwonnen
Taïtou	Tahaïtou
Apté - Gorghis	Habta - Gorguis
Sahlè - Sellassié	Sahla - Sellacié
Addis - Abeba	Addis (ou mieux)Haddis - Abbaba
Dédjazmatch	Dadj - Azmatche
Fitorari	Fit - Aourari

هذا وان كفة ميزان الكتاب من جهة الحسنات لراجحة على كفة الغلطات . وكفى صاحبه شهرةً ان كتابه هذا طبع خمس طبعات في خمس سنين مع ندرة الاخصائيين الذين يهتمون بمطالعة مثل هذه الشؤون المجهولة للناس مما يدل ان جودة قالبه جعلته من الموضوعات الرائجة .

عبد الله رعد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net